



طريق الهيبة: صبري نخنوخ

Zeinab Balashon

﴿ في قلب السيطبة.. يكتب نخنوخ اسمه بالحزم ﴾



نوارع القاهرة في عام 1963 تضج بالحياة والحركة، حيث تتداخل أصوات الباعة الجائلين مع ضحكات الأطفال الذين يركضون في الحارات الشعبية الضيقة. في قلب منطقة السبتية، تزدهم ورش الخردة بقطع الحديد والنحاس القديمة التي تعكس أشعة الشمس الدافئة.



اخذ أحد أكبر مخازن إعادة التدوير، يقف المعلم حلمي نخنوخ يوجه  
عماله بهيبة واحترام كبيرين بين تجار المنطقة. وفي زاوية ورشة الخردة  
الواسعة، ولد ابنه صبري وسط عائلة ميسورة الحال تتمتع بنفوذ اجتماعي  
ملحوظ وثروة تؤمن لهم حياة رغبة.



يكبر الصبي صبري وهو يراقب والده يدير أعماله، لكن عيناه الصغيرتين لم تكن تنظران إلى الأموال التي يجنيها بقدر ما كانت تراقب نظرات الاحترام والخوف في أعين الناس. كانت قطع الحديد القديمة المحيطة به تبدو له كأنها عرش ينتظر من يجلس عليه بقوة.



بي أزقة السبتية المزدهمة، يجلس صبري على رصيف حجري وهو يراقب الصبية في عمره يلعبون بالكرة، بينما شرد ذهنه تماماً عن الطفولة ومباهجها. يبدو وجهه جاداً وصارماً، فالأفكار التي تدور في عقله أكبر بكثير من مجرد اللعب والمرح.



يجلس صبري في غرفته المريحة محاطاً بالدفاتر والكتب المدرسية  
إنه يغلق كتابه بملل واضح ويعلن لعائلته رغبته في ترك الدراسة مبكراً. لم  
تكن طموحاته تتسع لصفوف الدراسة، بل كانت روحه تتوق إلى الشارع  
العاصف حيث تُصنع القوة الحقيقية.



ينزل الشاب صبري إلى سوق العمل في ورش الخردة بنشاط  
وحماس، محاولاً إثبات وجوده بين العمال الأشداء والتجار الكبار. يمسك  
بقطع المعدن الثقيلة وعيناه تتفحصان المكان، مدركاً أن هذه الورش هي  
بوابته الأولى لفرض سيطرته.



غم نجاحه السريع في تجارة الخردة وتحقيقه للأرباح، يجلس صبري  
وحيداً في مقهى شعبي بالحي وهو يشعر بعدم الرضا، فالمال وحده لم يكن  
يكفي طموحه المشتعل. كان يتطلع إلى شيء أعمق وأقوى، شيء يجعل  
الجميع يرتعدون بمجرد سماع اسمه.



يمشي صبري في حارات القاهرة ليلاً تحت أضواء المصابيح الخافتة  
والناس يفسحون له الطريق بوجل ويهمسون باسمه بإعجاب ممزوج  
بالخوف. بدأ يدرك أن النفوذ والهيبة هما العملة الحقيقية التي يبحث عنها  
، وأن الخوف هو السلاح الأقوى لفرض الاحترام.



قف صبري شامخاً بملابسه الأنيقة في وسط السوق، يحيط به رجاله وأتباعه الذين يأترون بأمره وينتظرون إشارته بتركيز شديد. لقد تلاشت صورة الشاب الصغير لتظهر مكانها ملامح رجل يبسط نفوذه على كل من حوله بصرامة وقوة.



جلس صبري نخنوخ على مقعده الخشبي الكبير داخل ورشته، ينظر إلى نيران صهر المعادن المتوهجة وعلامات النصر تبدو واضحة على وجهه. لقد حقق غايته وأصبح هو المعلم الجديد الذي يحسب له الجميع ألف حساب في أزقة السبتية وخارجها.